(١١) من أركان الإسلام

حجُّ البيت الحرام

أنا الكعبة ها قد عدت ثانية إلى لقائك!

أهلا بك ومرحبًا

سعيدة أن نتصافح ثانية وأن نتجاذب الحديث.

قد أخبرتك أن قصصي كثيرة ومتنوِّعة.

وسأذكر لك هذه المرة قصةً منها ممتعةً شيِّقةً.

إنها قصة أسرة تتكون من ثلاثة أفراد رجل وامرأة وطفلهما الصغير.

أما الرجل فهو نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو جد نبيِّنا ﷺ.

وأمَّا المرأة فهي أمُّنا هاجر وأصلها من مصر وتزوَّجت بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأقامت معه في العراق، وقد رزقهما الله طفلًا جميلًا سمَّوه إسماعيل.

وفي يوم من الأيَّام أمر الله نبيَّه إبراهيم أن يأخذ ولده إسماعيل وأمَّه هاجر وأن يذهب بهما إلى بلاد الحجاز حيث مكة المكرَّمة، وبالفعل أخذهما إبراهيم وسافر إلى ذلك المكان، وهناك تركهما وعاد كما أمره الله تعالى.

والعجيب أنَّ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأى المكان خاليًا، فلا زرع فيه، ولا شجر، ولا ماء، ولا شيء، حتى إنَّه لم يكن فيه دور ولا سكن، ولا بشر!

ومع هذا لم يتردد إبراهيم في تنفيذ أمر الله تعالى له.

وكانت زوجته بارك الله لها هي الأخرى راضية شاكرة مطيعة، فعندما تركهما وذهب قالت له:

يا إبراهيم!

إلى من تتركنا في هذا المكان؟ هل الله تعالى أمرك بهذا؟ فأجابها إبراهيم: نعم.

فقالت هاجر: مادام الله هو الذي أمرك بهذا فهو لن يضيعنا.

ذهب إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبقيت هاجر مع ولدها الرضيع في

هذا المكان، ولما نفد الماء الذي كان معهما أخذت هاجر تبحث عن مكان تأتي منه بالماء، بحثت كثيرًا، ولكنها لم تجد، وكان هناك جبلان كبيران، أحدهما يسمَّى جبل الصفا والثاني جبل المروة، فكانت هاجر تصعد عليهما بحثًا عن الماء، تنظر لعلها ترى أحدًا يقدم عليها من الناس، أو ترى الطيور تنزل في مكان من الصحراء فيكون به ماء، لكنها لم تجد، كانت هاجر تدعو الله تعالى أن لا يضيعها هي وابنها، وبعدما أصابها التعب والإعياء قعدت على الجبل تنظر إلى ابنها الطفل الرضيع وكان يبكي فحدث شيء عجيب، لقد تفجَّرت عين ماء من تحت قدم إسماعيل، نزلت هاجر تجري إلى جهة ابنها وهي لا تصدق نفسها، واستبشرت بعين الماء تلك، وأخذت تحمد ربها وهي تحوط الماء حتى يجتمع في مكانها ولا يسيح في الأرض، وكانت على ثقة من أنَّ الله جاعلٌ لها مخرجًا ومستجيبٌ لدعائها، سبحانه.

وحين جاء الماء هبطت الطيور على المكان لتشرب ولمح الناسُ الطيورَ من بعيد فقصدوا المكان فوجدوا الماء كما

ظنوا، واستأذنوا هاجر في أن يكونوا معها، ويعيشوا في هذا المكان، وسبحان الله الذي رزقهم الأنس بعد الوحشة، والماء بعد العطش، والزرع بعد الجدب[١].

وبعد مدة عاد إليهم إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكانت معه مفاجأة جميلة، لقد أمره الله أن يكشف في هذا المكان عن قواعد البيت الحرام وأن يرفعها لتكون علامة للناس على بيت الله ويأتي إليها الناس من كلِّ بقاع الأرض.

أخذ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إسماعيل وقاموا بجمع الحجارة وتسويتها وبناء جدران الكعبة كما علمهما الله، ولما فرغا من عملهما ودعوا الله بالقبول، أمر الله تعالى إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، فصعد على الجبل وأخذ يقول: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا.

ومن يومها والناس لا ينقطعون عن الحج إلى بيته الحرام والطواف به والسعي بين الصفا والمروة كما فعلت هاجر وهي تبحث عن الماء.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٣١٧٩)، ومسلم (٢٣٧١).

وكذلك صار الحج ركنًا من أركان الإسلام كما قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»(١).

وهكذا يا أحبتي صرت علمًا يعرفني جميع الناس ويقصدون إليَّ ويطوفون بي ويسعون بين الصفا والمروة إلى جواري ويقفون بعرفة، وكلُّ الناس تشتاق الحج وتحبُّه وتتمنَّاه.

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري (٨)، ومسلم ١٦).